د من ذاكرة الإنسان والمكان والزمان

من الكتاتيب إلى مسحر رمضان ثم إلى الترامواي

| منير كيال

من طبيعة الإنسان، الحنين إلى طفولته يستذكر فيها الحنين إلى صور المحبة والإيثار والخير والعطاء.. بل جميع المعاني الإنسانية التي تشد الإنسان إلى أخيه الإنسان، وتجعل الحياة جديرة بأن تعاش، فذاكرة الإنسان تحفل بالعديد من العوالم و المواقف والرؤى وأنماط المعيش والسلوك والتعاطي مع الآخر.

وهذه أمور تدور برأسه وتحوم بذاكرته.. فلا تكاد تفارقها، إنها معين لا ينضب ورؤى تأبى التلاشي في عالم النسيان، ولا تني تنفض عنها تقادم الأيام، وتتحدى شبح الإهمال أو الانشغال عنها بما تتطلبه الحياة.. وهذه العوالم لم ترتبط بمشاعر أثيرة على قلب الإنسان بما تثير من كوامن وأحاسيس تسرح بالذاكرة حتى لكأنها ماثلة أمام ناظريه وتعيش بين ظهرانيه.

ومن هذه الصور ما يلقي الضوء على بعض أشكال المعاناة التي كان عليها الناس.. وبالتالي فإن في استرجاع نماذج من صورها تجعل المرء يدرك البون بين ما كان عليه أسلافنا، وما عليه الجيل المعاصر من نعم حملتها إليه حياتنا المعاصرة، نعم طبعَت الحياة بطابعها الحديث من تعامل ومعطيات وعلوم وثقافة.

ومن هذه الصور ما كان من أمر دور الكتاتيب في تعليم الناشئة قبل أن يعرف مجتمعنا مراحل التعليم المتطورة، وعلوم الجامعات والمعاهد العليا بشتى المراحل الدراسية التي نحن فيها الآن.

فقد كانت هذه الكتاتيب منتشرة بأحياء مدينة دمشق، لتعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة، وعلم الدوبيا والعمليات الحسابية الأربع من جمع وطرح وضرب وتقسيم، فضلاً عن تزويد الدارسين بعلوم القرآن الكريم وعلوم الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية وما إلى ذلك من العلوم الأساسية التي قدمت لنا أساتذة الأساتيذ من جهابذة العلوم الذين كانوا رواداً للنهضة العلمية.

ومنهم الأساتذة: شفيق جبري شاعر الشام وعميد كلية الآداب بالجامعة السورية، الذي كان لا يحمل حتى الشهادة الابتدائية «السرتفيكا» ومنهم الاستاذ سعيد الأفغاني حجة علوم اللغة العربية، بعدد من الجامعات العربية بما في ذلك الجامعة السورية، وأيضاً العلامة محمد دهمان، مؤرخ دمشق ومحقق العديد من أمهات تراثها التاريخي، وهو الذي أخذ بيد الكثير من الباحثين بتاريخ وتراث مدينة دمشق إلى جادة الصواب، ولعل من أطرف ما حدث مع الشيخ دهمان أنه عزم الترشح إلى مجلس الشعب «البرلمان» فلم يجب إلى طلبه، لكونه أمياً لا يحمل الشهادة الابتدائية فما كان منه إلا أن ضحك وقال إن الله غني حميد.

ومن أمتع الصور التي كانت تعيشها دمشق، صورة مسحر رمضان «ابو طبلة» الذي كان يوقظ الناس إلى سحورهم في شهر رمضان، فقد كان يسحر مدينة دمشق، قبل أن يمتد عمرانها أفقياً وشاقولياً، يسحرها مسحر واحد يصعد إلى مكان مرتفع ومعه طبل كبير يضرب عليه وهو يقول بأعلى صوته:

يا سامعين ذكر النبي عالمصطفى صلوا
لولا النبي ما انبنى جامع ولا صلوا

ثم تطورت الحياة، فأصبح يساعد هذا المسحر طبل على كل باب من أبواب مدينة دمشق وعلى أبراج قلعة دمشق يضرب عليه إذا حان الامساك ثم أصبح مكان كل طبل مدفعاً يطلق طلقة إذا حان الثلث الأول من الليل وطلقة عند الثلث الثاني من الليل، وطلقة عند الثلث الثالث من الليل لتبدأ المراسلات بين مؤذني مساجد دمشق الكبرى إلى أن يحين الامساك فيطلق من كل مدفع طلقة، وعند أذان الفجر طلقة أخرى.

وأعقب ذلك أن أصبح لكل حي من أحياء مدينة دمشق مسحر خاص، ثم قسم الحي إلى مطافات لكل مطاف مسحر خاص به لا يتعداه إلى مطاف مسحر آخر فكان كل مسحر يطوف على البيوت الواقعة بإطار مطافة قبل الفجر بنحو ساعة وهو يتغنى بأقوال من المدائح النبوية والحض على الكرم، وينبه الناس إلى سحورهم، كان أمتع ما كان يقدم المسحر لنا في طفولتنا، تلك المقطوعات التي تسعدنا بعد الإفطار من كل يوم ومن ذلك مقطوعة البرغوث ومقطوعة الضراير، وكذلك مقطوعة القطة أم زليخ، يومها كان المسحر يتدلع علينا أو يبخل، فنقول له: أبو طبلة مرته (زوجة) حبلي.. فيكر علينا ونفرّ ثم لا يلبث أن يستجيب لنا، ويقدم لنا ما نريد من أقوال.. ولعل من الجدير بالذكر أن حرفة التسحير كانت تنحصر بإطار تنظيم مشيخة الكارات، بمعنى ليس لكل من حمل طبلة وفانوساً وسلة، له أن يكون مسحراً.. فالتسحير له مشيخة خاصة، شأنه شأن كل حرفة أو (كار) بدمشق وكان للمسحرين شيخ كار ويساعده شواش (ج.م: شاويش) للإشراف على الحرفة وأصولها، وكانت هذه الحرفة متوارثة، لذلك كان يرافق المسحر ولد، يساعده بحمل السلة أو الفانوس، وهذا الولد غالباً ما يكون ابن المسحر، وهو في ذلك يعلم ابنه أصول الكار، ويعرفه على أهل مطافه، وفي أيامنا هذه نستذكر أيام مسحر رمضان وأقواله وروحانيته على الرغم مما توفر لنا المعطيات الحديثة من وسائل لإيقاظ الناس إلى سحورهم.

سقى الله أيام مسحر رمضان، وإذا حاولنا التذكر فترة قريبة نجد أن من الصور التي افتقدتها مدينة دمشق، إنما هي عربات الترام (الترامواي) ذلك أن دمشق لم يكن ينتشر بها استخدام السيارات، أو التنقل بها، إلا على نطاق ضيق حتى العقد الرابع من القرن العشرين، كان الذين يمتلكون سيارة خاصة قلة، ويعدون على الأصابع، وكان لهم القيام بعرض سياراتهم في مطلع فصل الربيع من كل عام وذلك بين نزلة التجهيز (جودت الهاشمي) والربوة، وهم يتباهون بسياراتهم أمام الناس الواقفين على جانبي الطريق للفرجة.

كان الموسرون في ذلك الحين، يعتمدون على الحناطير المغلقة (لاندونيه) أو المكشوفة، بتنقلهم، ومنهم من اعتمد على السوائم في تنقله. أما الشريحة الكبرى من الناس فقد كان لها الاعتماد على عربات الترمواي بديلاً، إذا لم تتوافر لهم وسيلة أخرى للانتقال.

وقد وفر هذا الترام عبئاً كبيراً من هموم تنقل الناس بين أرجاء مهمة من مدينة دمشق، ومن ذلك المواصلات بين محلة بوابة الله بحي الميدان وإلى حي الشيخ محيي الدين ابن عربي، وكذلك إلى سفح جبل قاسيون بحي المهاجرين وإلى حي القصاع ثم إلى بلدة دوما بريف دمشق.

ولا تزال صورة الفتيان ماثلة بالذاكرة، يوم كان الواحد منهم يجمع سقط بري قلم الرصاص ليجعل منها ممحاة، وكذلك صورة من كان يتعلق بعربة الترام بحيث تجرهم عربة الترام وأقدامهم على سكة العربة، وكيف كان الشرار يتطاير من (حدوة) الحذاء لدى إسراع العربة في سيرها، ومن ذلك، كيف كان يحلو لبعض الفتيان الركوب بعربة الترام، وعدم دفع أجر الركوب، حتى إذا جاءهم الكمسياري (الجابي) يتحايل عليه فيهرب من دفع أجر الركوب.. وكيف يعمدون إلى شد الحبل الذي يربط سكة الترام المتصلة بشريط الكهرباء الذي يمد العربة بالقدرة المحركة.. الأمر الذي يسبب توقف عربة الترام، وبالتالي يتاح لأولئك الفتيان التخلص من دفع أجرة الركوب. وهم يتصايحون على سائق عربة الترام بقولهم: دوّر السكة وارجاع وأشعل الضوء الوراني.

ولما كانت منطقة المرجة، مركز المدينة دمشق، ومحط الكثير من فعاليات هذه المدينة، وملتقى المواصلات التي تنطلق إلى احيائها.. فقد أنشئت بالمرجة حديقة حول النصب التذكاري لذكرى بدء الاتصالات بين دمشق والمدينة المنورة، وأصبحت هذه الساحة مركزاً لانطلاق عربات الترامواي إلى المهاجرين والشيخ محيي الدين بن عربي، وإلى حي الميدان والقصاع، فضلاً عن خط الترامواي الذي يربط دمشق بمدينة دوما بريف دمشق.

وأخيراً لابد من القول: إن ثمة صوراً عديدة بالذاكرة جديرة بالاهتمام، ولكننا آثرنا الاكتفاء، عسى ألا نطيل على القارئ الكريم.

ع الطالع والنازل!

لو كنت مكان الفنان الكبير أيمن زيدان!

| يكتبها: «عين»

هل شاهدتم الفنان الكبير أيمن زيدان في برنامج «عبق» على الفضائية السورية؟

كل مرة يظهر فيها برنامج «توك شو» على الفضائيات العربية يبدأ بضيف سوبر ستار للترويج لنفسه، وهكذا فعل التلفزيون السوري ببرنامجه الجديد «عبق»، الذي يبدو أنه صرف عليه كثيراً ليخرج على هذا النحو. والبرنامج كفكرة «جديد»، ولكن يصلح لضيوف غنائيين أو من مقام الجيل الجديد الذي يصفف شعره «سبايكي»، ويزين كلامه على ميزان الزيبق لتنقله مجلات الفن «الكثيرة» عندنا على أنه «سكوبات»!

كنا في المقهى، أربعة.. اثنان شاهدا البرنامج، واثنان لم يشاهداه!

اللذان شاهداه حكيا للذين لم يشاهداه، ولأن المساحة لاتتسع للتفاصيل المتعلقة بجرأة المذيعة وفداحة الأسئلة وأجواء التصوير وخاصة «البرغش» فمن الممكن تلخيصها بالأفكار الأربع التالية، وهي لاثنين شاهدا فعلقا، ولاثنين سمعا فعلقا: الأول قال: عندما شاهدت الحلقة قلت في نفسي لو كنت مكان الفنان الكبير أيمن زيدان لكنت اعتذرت عن التصوير ريثما أرى الحلقات الأولى!

والثاني قال: الفكرة مقبولة، ويفترض التأسيس عليها إعداداً وإخراجا ومراقبة، وأن يكون الفنان أيمن زيدان آخر ضيف وليس الأول!

الثالث قال: احتمال أن يكون البرنامج عن الحياة الشخصية وارد، وفي هذه الحالة كسره أيمن زيدان بجدية وجهة نظره والهروب من لعبة الأسئلة نحو آراء جدية، ولأن ذراعه قوية فصار البرنامج لا هيك ولاهيك!

أما الرابع، فقال: ها.. ها اااا.. الآن فهمت لماذا هذا الهجوم على الإدارة على صفحات الفيس بوك!

مر الكرسون، فسمع جزءا من الحديث، فقال:

والله ياشباب حلو البرنامج.. وخاصة المذيعة!

نظر الأربعة إليه، بارتياح وقالوا:

الجمهور عايز كده!!!

روز ومايا!

مذيعتان تقدمان برنامجا مشتركا، لم نحفظ إلا الاسم الأول لكل منهما، أي روز ومايا، والاسمان ماشاء الله «مودرن» اختتمتا الحلقة بالحديث عن الباليه الذي عرض برنامجهما مقطعا منه، فقالت الأولى: عرضنا في البرنامج اليوم شيئاً من الباليه المعروف بتناسقه وجماله، وقالت الثانية: وهو ما يشبه حلقة اليوم التي كان فيها موسيقا وغناء وباليه فكان كل شيء متناسقا!!

بث مشترك!

لانعرف آليات البث عند زملائنا في التلفزيون، ولكن من الضروري الإشارة إلى أن بث السحور هو بث مشترك بين قناة تلاقي وقناة نور الشام، والإذاعة...؟!

تقطيع وثائقي!

ظهر ضيفان معروفان في فيلم وثائقي عن «يهودية العالم»، ونتيجة لقلة مروة الإخراج تحدث الضيف الأول الياس زحلاوي والثاني شريف أبو جابر كل واحد ربع ساعة وصلى الله وبارك. لو أعرف المخرج لكنت اتصلت به لأن ذلك ليس وثائقيا!

شكر!

المشاهدون.. يعني: نشكر إياد خلف مقدم برنامج خفايا التاريخ على ابتسامته البخيلة في آخر الإعلان الذي يظهر في الإخبارية السورية وهو يقلب كتابا يبحث فيه عن الخفايا وكأنه زهقان من الخفايا والحقائق على السواء!

حديث المقهى!

- قال: تأبين المذيع الراحل علاء الأيوبي في مكتبة الأسد لا يليق باسمه ولا يليق بالتلفزيون ولا بوزارتي الأوقاف والداخلية اللتين عمل بهما!
- قال: «فترة الإفطار» على الفضائية السورية هي فترة بث بين قوسين.. القوسان ضيقان جدا، وكأن منسق البرامج يقول: بيكفي حاجة!
- قال: الرقابة في التلفزيون بكل عرس لها قرص... هذه السنة حاولت تكبير القرص مثل كل مرة، فحصلت استعصاءات في عدة مسلسلات من بينها بنت الشهبندر والعراب ودنيا، لكن هناك من ضيق القرص سريعا!
- قال: هل من المعقول أن تنتقل خلافات العمل إلى الفيس بوك؟ فقد كان هناك هجوم مطنطن من المقدمة ميساء صبوح وهتافات من المخرج جريس إبراهيم الريس على الإدارة من أجل برنامج «عبق» فاحت رائحته إلى تويتر!
- قال: مقال طويل عريض يبرر وجود قناة تربوية في صحيفة محلية.. القصة ومافيها أن هناك تخوفا من قرارات جديدة تتعلق بالقناة بعد الامتحانات!

انتباه!!

ليس المهم صدور قرار تسمية مدير قناة سورية دراما السابق السيد تميم ضويحي مديرا للإنتاج التلفزيوني، المهم أن يتذكر المعنيون في التلفزيون أن هذه المديرية هي أم الدراما السورية، ويفترض أن تبقى تنتج ليتذكرها الجيل الجديد، لا أن تعيش على الذكريات!

برجك اليوم

نجلاء قباني

الحمل: لا تزيد الشرخ الموجود في علاقاتك وحافظ على كلامك وكن متوازناً أكثر في خياراتك، اضبط ردات فعلك وكلامك فقد تجرح أحد المقربين من دون أن تقصد واحذر النسيان.

الثور: العمل من أول أولوياتك وأنا أدعوك للتنسيق بينك وبين من يساعدك ويحبك، الأجواء الفلكية تحفزك على بذل الجهود في العمل لأنه أساس حياتك ومصدر مالك.

الجوزاء: أنت تسيطر على أمورك وتتحكم في حياتك بذهنك المتقد وذكائك الحاد وسرعة بديهتك، الحظوظ مساعدة لتغيير عقار أو تغيير عمل وهذا يدخلك في متاهات الجديد.

السرطان: يوم متعب ولذلك تزداد الحاجة للهدوء والبعد عن المشاكل واحسب كلمتك قبل أن تقولها، وكل ما عليك فعله هو بذل المزيد من الجهود الرامية لتحسين وضعك الشخصي.

الأسد: اهتم بأن تشاهد إيجابيات وضعك الجديد فأنت تجيد انتهاز الفرص وتعرف كيف ترتب أمورك، يوم عائلي لتعويض ما فاتك والتغلب على المصاعب ولاستعادة أوضاعك المفقودة.

العذراء: تهتم بممتلكاتك الخاصة سواء كان في منزلك أو في راتب يشغلك وقد تبدي تحفظاً لمالك، وقد تعرف عملية بيع أو شراء أو تفكير بشؤون مالية أو مصدر آخر للدخل. يوم للمال.

الميزان: تتذوق طعم الفوز والعناية الإلهية تحيط بك وكأن أيادي ترفعك لتضعك في وسط حلم يتحقق، فأنت تحصل على ما تريد لأنك تحدد هدفك وتسعى باتجاهه.

العقرب: تصرفاتك بالعموم خالية من الحماس وغير مطلع على تفاصيل الأمور من حولك، وقد تسمع كثيراً وتحزن لما يقال وقد تنتابك حالة من الحساسية غير المسوغة.

القوس: قوتك ونشاطك وعلاقاتك الاجتماعية الجيدة ستخرجك من حالات فقدان الثقة، وستحمل لك التعارف المميز على أصدقاء يمنحونك التأثير والدعم والفرح، فأنت محبوب.

الجدي: الأمور لا تأخذ طابع المشاكل بل طابع القلق فلا تجعل قلقك يضايقك من دون أسباب مسوغة، ثق بمن حولك وابتعد عن إسداء النصائح وقلل من نقدك حتى لو كان بناءً.

الدلو: أنت مبدع وتنجز أعمالك بطريقة تجمع بين المتعة والتسلية والعمل المفيد. أنت تكشف عن مشاعرك بدقة وتفرح لتعامل من حولك بطريقة جيدة وتتعرف على أشخاص جدد.

الحوت: تتخذ قرارات جريئة بمساعدة الأصدقاء وبدعمهم ومحبتهم فالدعم حولك يفرحك، نصيحة مخلصة تسمعها من صديق أنت تحترمه فاسمع النصائح واعمل بها.

مولود ٢٤ حزيران

شهر جيد جداً باستقرار في أمورك العاطفية والعائلية إضافة إلى محبة الآخرين، ومساعدتهم لك في أمورك العملية والمالية، فأنت تملك الطاقة الجيدة والحماسة لتصل إلى أمنية تفكر بتحقيقها وخاصة في مجالات البيع والشراء والتجارة والإعلان وكل ما يتعلق بأمور الفن والإبداع.. شهر جيد لكل ما يتعلق بالأمور المالية. قد تباشر جديداً وخاصة أنك منسجم مع محيطك ومتوافق معهم وتأثيرك كبير على من حولك والشمس الموجودة في برجك إضافة لوجود الزهرة في بيت العائلة، والاتصالات والحركة يجعلك تجد حلولاً لمشاكل كانت مقلقة وقد تحقق مكاسب مالية عن جهود قمت بها سابقاً وقد تفكر بسفر تتلقى فيه مفاجأة جيدة أو مستجدات تريحك.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – مخرج سينمائي سوري – حرف ناصب.
٢ – أكمل – قتله.
٣ – نصف مودة – ينتظر (م) – اسم موصول.
٤ – يحصد – سرور.
٥ – ممثل سوري – رابط.
٦ – جدها في مساوئ – رسائل – للتعريف.
٧ – تلح (مبعثرة) – عمَّر – نصف أعبر.
٨ – يشعر (م) – آلة موسيقية.
٩ – خاصتي – من القوارض – ظهر (م).
١٠ – كره (مبعثرة) – جدها في مبارك – شرياني.
١١ – ممثل سوري (م) – وافق.
١٢ – والد (م) – كف – جواب.

عمودي:

١ – مخرج وممثل سوري – أشرب (م).
٢ – يتخوف – أداة حادة (م).
٣ – متشابهان – نحلم – يم (م).
٤ – يتوفى – والدة (م).
٥ – نود – سيفي.
٦ – دانٍ – سناني.
٧ – حلق – طريقي.
٨ – قطعة خبز – عملة آسيوية – جمال.
٩ – من الأعداد – ألتف (م) – هدفي.
١٠ – حفز – كريم الخلق.
١١ – وجع – حروف متشابهة.
١٢ – ممثل سوري راحل – مادة كيميائية.

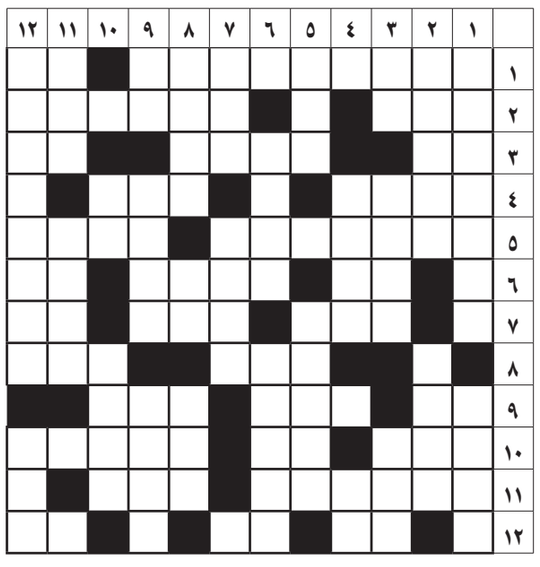

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ا	ي	م	ن	ز	ي	د	ا	ن		ع	م
٢	م	ت	ط	و	ر		د		س	ب	ل	
٣	ي		ا	ل	ا		د	و	ي	ل	ا	ت
٤	ن	و	ر		ف	ر	د		م		ق	م
٥	هـ	ل		م	هـ	ف		و		ل	هـ	ا
٦	ر	ا	ا	د		ا	ر	ت	ا	ب		م
٧	ز	ا		ا	ل	ق		د	ا	ن	ع	
٨	ق		م	د	ر	ي	د		ا	ا	ت	
٩		ل	ل		ي		ي	ن		ن	ا	م
١٠	و	ا		ل	هـ		ن	ا	ل		د	م
١١	ا	م	ي	ل		ي		م	ا	ر		م
١٢	و	ا	ا	ل	ر	م	ض	ا	ن		ل	م

كلمة السر

ا	ر	ي	خ	ء	ت	ل	ا	ب	ب	ا	غ
ل	و	ن	ع	ط	ب	ت	ر	م	د	ب	ا
ع	ك	ل	ح	ي	ر	ي	ش	ت	ن	ا	س
ا	ل	ا	ض	ج	هـ	ب	م	م	و	ك	ت
ش	م	ر	و	ا	ا	م	ل	ك	م	ر	ي
ر	ا	ى	ر	ى	ل	ا	ن	ع	ي	ا	ق
ة	م	و	ك	ل	ن	و	د	ا	ع	ع	ظ
ا	ن	م	ح	ن	م	ج	ي	ف	ذ	م	ت
ل	ا	ن	ب	د	ي	د	ج	ن	ر	ل	ط
ع	م	د	ن	و	د	ة	ع	ا	س	ي	ي
م	ي	ى	ل	ا	ي	ك	ت	ي	ا	ر	ف
ل	ب	هـ	ذ	ا	هـ	ب	ن	م	ل	ا	ك

كلمة السر من عشرة حروف: ممثلة سورية.

**(كلما غاب طيفك عن نومي
أذهب باكراً إلى عملي...
وكلما رأيتك في منامي
استيقظت لأرى ساعة المنبه
تشير إلى العاشرة...
حضورك مرتبط بالتأخير عن
العمل... من دون عذر ومن
دون حب جديد مبهج..).**

SUDOKU

		2	8					6
7					1	9		3
8			5					1
5				8	4			7
	3				7		1	
2					3			9
4					5			2
3		5	9					4
9					8	1		

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

2	1	3	6	7	4	9	8	5
6	8	4	3	9	5	1	7	2
9	7	5	8	1	2	6	4	3
3	5	1	4	8	6	7	2	9
8	4	6	9	2	7	5	3	1
7	2	9	5	3	1	8	6	4
1	9	2	7	4	8	3	5	6
4	6	8	1	5	3	2	9	7
5	3	7	2	6	9	4	1	8

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	صحو ٣٢°/١٧°	صحو ٣٢°/١٧°
حمص	صحو ٢٩°/١٦°	صحو ٢٩°/١٦°
حلب	صحو ٣٠°/١٧°	صحو ٢٩°/١٦°
اللاذقية	صحو ٢٧°/٢٣°	صحو ٢٨°/٢٣°
السويداء	صحو ٢٧°/١٤°	صحو ٢٧°/١٤°
الحسكة	صحو ٣٦°/٢٢°	صحو ٣٦°/١٩°

من هو؟

ممثل مصري: إذا جمعت الأحرف:

١ + ٣: حاجز

٤ + ٥: شكل أو لباس

٧ + ٦ + ٢: آلة موسيقية

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: ديانا حداد.